ARTISTS' PERSPECTIVES

تعليق "حسن خان" (Hassan Khan) على لوحة "شبح برغوث" للفنان "وليام بليك" (William Blake) (1819-1820 تقريباً)

كان السيد "مارتن" أستاذي في المدرسة في مادة الأدب الإنجليزي يمثل شخصاً مهماً في حياتي؛ فقد كان رجلاً عميقاً له قناعات متأصلة، ويقيم علاقة صادقة ومنفتحة مع تلاميذه. كان رجلاً يبدو عليماً بالأمور، كما كان يبدو كمن أصابته بعض الخسارة. كنت أصدقه، وعندما بلغت من العمر الثانية عشر، أصبحنا صديقين حميمين. تعود أولى ذكرياتي للشاعر "وليام بليك" إلى قراءتي لقصيدته "النمر" في الفصل مع السيد "مارتن" قبل عدة أعوام. أصابني الإحباط (فقد كنت أريد الانتقال مباشرةً إلى "تي إس إيليوت" و"عزرا باوند")، فسألته كيف كان يُفترض أن تكون هذه قصيدة جيدة، إذ أنها بدت عادية وطفولية للغاية. ثم تحدث إليّ السيد "مارتن" عن مقومات القصيدة، ولم أكن واثقاً من أنني وجدت في نفسي اقتناعاً بحججه آنذاك.

عند التحقت بالفرقة الأولى في الجامعة، صادفت الرسومات التوضيحية التي وضعها "وليام بليك" لـ "دانتي" ومجموعة قصائده المجمّعة في مكتبة الجامعة، وهنا أصابني الانبهار على الفور. وبما أنني صرت أسيراً لـ "وليام بليك"، فقد أصبح اسمه نفسه يجسّد فهمي للعالم الذي اعتبرته حقيقياً ونظرت إليه بكل تقدير. ولذلك فقد كان "وليام بليك" (وقلة قليلة ممن سواه) قادراً على إبداع فن بدا لعيني آنذاك وكأنه لا يعتمد على توقعات السياق أو الفترة الزمنية أو الأسلوب الفني أو الجمهور.

لعل لوحة "شبح برغوث" لم تكن لوحتي المفضلة (فالعذابات الجحيمية العديدة، والآلام التي تصاحب بعض قصائده، كانت على الأرجح أكثر إبهاراً)، لكنها كانت إحدى اللوحات الأكثر إرباكاً. وفي كل مرة صادفت فيها تلك اللوحة عندما كنت أقلب إحدى الصفحات، فقد كنت أتوقف عندها. ولدرجة ما، فقد فسرتها بشكل حرفي؛ فقد التقى الرسام بشبح برغوث وهذا ما بدا له. وفي إطار هذا التفسير الحرفي، بدا تأويلي معقولاً لفترة وجيزة من الوقت. كنت قادراً على قراءة شفرته في رقم إحدى الحافلات، في لافتة على الطريق، وفي الطريقة التي تحمل بها امرأة حقيبة تسوقها وهي تقطع الطرقات. ولكن هذه كانت حالة من الارتياب غير الضار، فالعالم هنا لم يكن مجموع النوايا الخفية للأرواح الجائعة الأنانية، وإنما كان تأكيداً لكل شخص وكل شيء. ومن هذا المنظور بالطبع، فإن للبرغوث شبح، وإن كان له مثل هذا الشبح، فلعله يمكن لـ "وليام بليك" أن يلتقي بذلك الشبح عصر أحد الأيام، ويجسده بأسلوبه الرائع. كان ذلك شكل اللوحة الفعلي (كما كان يُتصور من خلال نسخها في العديد من الكتب بأحجام ودرجات وضوح وتدرجات لونية مختلفة)، إلا أن ذلك جعل هذا التأويل الحرفي ممكناً. وهذا شيء ما كان لي أن أنساه مطلقاً.

"حسن خان" (وُلد عام 1975) هو فنان وموسيقار وكاتب. يعيش ويعمل في العاصمة المصرية، القاهرة.